المختصر في كتاب الاسبوع رقم 200

دراسات سيكولوجية

سلامة موسى

عرض: أ. د. معن عبدالباري قاسم صالح- أستاذ علم النفس السريري (العيادي)
قسم الطب النفسي/ كلية الطب/ جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل (الدمام سابقا).
Maanslaeh62@yahoo.com

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي . في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية. ونظرا لتصادف هذا الشهر وتحديدا 6 مايو مع ذكرى ميلاد مؤسس مدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد، فقد قررنا أن نكرسه لتناول أبرز ماتيسر لنا من عرض مساهمة بعض من رموزالفكر العربي في الكتابة عن فرويد.

هذا الكتاب من تاليف الاستاذ سلامة موسى، وهو مفكر مصري كبير، وأحد أهم المؤثّرين في الفكر العربي والمصري في القرن العشرين، ويَعُده الكثيرون أول مَن دعا للاشتراكية في الوطن العربي.

وُلد «سلامة موسى» عام ١٨٨٧م بإحدى قرى الزقازيق، والتحق بالمدرسة الابتدائية القبطية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة التوفيقية، ثم المدرسة الخديوية، وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٣م.

أتاحت له فترة الإقامة في فرنسا (١٩٠٦–١٩٠٩م) التعرُّف على رموز الفكر والفلسفة في أوروبا، فاطَّلع على أعمال «ماركس» و«فولتير»، وتأثَّر تأثرًا كبيرًا بـ «نظرية التطور» (أو «النشوء والارتقاء») وبصاحبها «تشارلز داروين»، كما اطَّلع خلال سفره على آخِر ما توصَّلت إليه علوم المصريات، ثم انتقل إلى إنجلترا لدراسة القانون. انضمَّ إلى جمعية العقليين والجمعية الفابية الاشتراكية، وفيها تعرَّف على المفكر الكبير «جورج برنارد شو.»

عاد إلى مصر عام ١٩١٠م، وأصدر كتابه «مقدمة السوبرمان» الذي كان أول نافذة يتعرَّف من خلالها المجتمعُ الثقافي المصري عليه، ثم كان كتاب «نشوء فكرة الله» الذي نقل فيه أفكار الكاتب الإنجليزي «جرانت ألين» ونقْدَه للفكر الديني.

لـ «سلامة موسى» أكثر من أربعين كتابًا، من أهمها: «أحاديث الشباب»، و«أحلام الفلاسفة»، و«الإنسان قمة التطور»، و«الاشتراكية»، و«المرأة ليست لعبة»، و«حرية الفكر وأبطالها في التاريخ»، و«غاندي والحركة الهندية»، و«مصر أصل الحضارة»، و«نظرية التطور وأصل الإنسان»، و«هؤلاء علَّموني.«تُوفِّي «سلامة موسى» في القاهرة عام ١٩٥٨م. صدر هذا الكتاب عن الشركة العربية للطباعة والنشر في عام 1962 في 158 صفحة وتوزعت محتوياته على النحو التالي:

العواطف المضغوطة والسلوك الشاذ

المرضى الذين يعلموننا

هذا الكتاب من تاليف الاستاذ سلامة موسى، وهو مفكر مصري كبير، وأحد أهم المؤثّرين في الفكر العربي والمصري في القرن العشرين، ويَعُده الكثيرون أول مَن دعا للاشتراكية في الوطن العربي

وُلد «سلامة موسى» عام ١٨٨٧م بإحدى قرى الزقازيق، والتحق بالمدرسة الابتدائية القبطية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة التوفيقية، ثم المدرسة الخديوية، وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٣م

أتاحت له فترة الإقامة في فرنسا (١٩٠٦–١٩٠٩م) التعرُّف على رموز الفكر والفلسفة في أوروبا، فاطَّلع على أعمال «ماركس» و«فولتير»، وتأثَّر

النفس السليمة في المجتمع السليم

هذا العلم الجديد

مرضى النفس وعلاجهم

نحن نفكر بأفواهنا

اللغة أعظم أدويتنا الاجتماعية

الكتب العظيمة التي تربينا

كيف نتعلم العبقرية؟

الإيمان بالأرواح مرض

سيكلوجية الصحافة

الاستقلال هو الشرط الأول للشخصية

السعادة هي أن تمارس الحياة

لا تكن في حرب باردة مع نفسك

النعيم المقيم

سيكلوجية الشيخوخة

سيكلوجية الشيخوخة أيضاً

حياتهم تافهة

أوديب.. صبيا !

الخمر والمخدرات الأخرى

كيف نتعلم السعادة

الرقص

العواطف المضغوطة والسلوك الشاذ

عندما يقول أحدنا إنه درس فرويد فإنه لا يعنى بذلك أنه يسلم بكل ما قاله وزعمه عن النفس البشرية.. كما أن من درسوا داروين أو أينتشتين أو سارتر أو هيجل لا يسلمون بكل ما قاله هؤلاء. إذ ليس الدرس حفظا " عن ظهر قلب" وليست السيكلوجية رقية نقلوها على المرض فيشفى، وإنما هي تقليب للفكرة أو الفكرات ومناقشها. بل قد يكون الدرس بالانعطاف بها إلى وجهات أخرى غير وجهتها الأصلية.

بل أزيد على ذلك وأقول إننا ننتفع أحيانا بالخطأ كما ننتفع بالإصابة عند المفكر العظيم. وقد سبق لي أن قلت مثل هذا القول عن فرويد. وأخطاء فرويد– أو ما يزعمه البعض أنها أخطاء– قد بعثت مئات المفكرين في أنحاء العالم المتمدين على بحث النفس البشرية يوافقون فيها فرويد أو يخالفونه أو يناقضونه. ولكنهم في كل ذلك يبحثون.

وهنا عظمة هذا المفكر الذي شرع قبل ستين سنة يتساءل: لم يسلك زيد هذا السلوك الشاذ وبسلك عمرو هذا السلوك السوي؟

ثم يجيب بأن هلة ذلك ترجع إلى أيام الطفولة. وصحيح أنه شرح العوامل في هذه الطفولة بما يدعو إلى مناقشة فروضه ونظرياته، ولكنه عين حدود المسألة وطالبنا بالحل إذا لم نقبل حله هو الذي وضعه.

وماذا نقول في رجل يبدأ بحوثه بقوله إن لكل اتجاه أو حركة أو سلوك علة؟ وأننا إذا كنا نجد رجلا مستقيماً و آخر شاذاً، ثم رجلا صالحاً وآخر مجرماً، ثم امرأة مستهترة وأخرى متحفظة فإننا يجب أن نبحث عن العلة في هذه الحالات هل هي في العائلة، في المجتمع، في الوراثة، في الوسط؟

لقد قال هو إنها في العائلة، في علاقة الطفل بأبويه في السنوات الأولى من العمر.

ونستطيع ان نخالفه هنا، ولكننا لا نستطيع أن نخرج بذلك من المشكلة، وهي: لماذا يختلف الناس في سلوكهم؟

تأثرًا كبيرًا بـ «نظرية التطور» (أو «النشوء والارتقاء») وبصاحبها «تشارلز داروين

عاد إلى مصر عام ١٩١٠م، وأصدر كتابه «مقدمة السوبرمان» الذي كان أول نافذة يتعرَّف من خلالها المجتمعُ الثقافي المصري عليه، ثم كان كتابه «نشوء فكرة الله» الذي نقل فيه أفكار الكاتب الإنجليزي «جرانت ألين» ونقْدَه للفكر الديني

ا «سلامة موسى» أكثر من أربعين كتابًا، من أهمها: «أحاديث الشباب»، و«أحلام الفلاسفة»، و«الإنسان قمة التطور»، و«الاشتراكية»، و«المرأة ليست لعبة»، و«حرية الفكر وأبطالها في التاريخ»، و«غاندي والحركة الهندية»، و«مصر أصل الحضارة»، و«نظرية التطور وأصل الإنسان»، و«هؤلاء علَّموني

عندما يقول أحدنا إنه درس فرويد فإنه لا يعنى بذلك أنه يسلم بكل ما قاله وزعمه عن النفس البشرية.. كما أن من درسوا داروين أو أينتشتين أو سارتر أو هيجل لا يسلمون بكل ما قاله هؤلاء.

بل أزيد على ذلك وأقول إننا ننتفع أحيانا بالخطأ كما ننتفع بالإصابة عند المفكر العظيم. وقد سبق لي أن قلت مثل هذا القول عن فرويد. وأخطاء فرويد– أو ما يزعمه البعض أنها أخطاء

كلمات " النفس" و " العقل

وهذا السؤال هو سؤاله. وهو في صميم السيكولوجية التي تبحث " النفس" في ارتفاعها و انخفاضها، وسلامتها، ومرضها، واستقامتها وانحرافها.

وكلمات " النفس" و " العقل الباطن" و " مركب النقص" و" النرجسية" و " مركب أوديب" هي كلمات مؤقته تحمل كثيراً من الشبهات. وعندما يتقدم العلم السيكولوجي يستطيع أن يضع المفردات العلمية الدقيقة لهذه الكلمات المؤقتة. وكثير من المناقشات والاختلافات يرجع إلى الشكوك التي تحيط بهذه الكلمات وغيرها لأنها غير محددة المعاني.

وأحب أن أصف مؤلفات فرويد بأنها فلسفة، بل هي أحياناً فن، أكثر مما هي علم. ذلك أني أحس أنها أنارت بصيرتي أو زادتها وحفزتني على الدرس، وإن يكن هذا الدرس يختلف بل ينحرف عن اتجاهات فرويد، وربما يكون خير وصف لأفكار فرويد أنها خمائر.

وبكفى أن نخلص أفكار فرويد أو نظرياته أو فروضه فيما يلي:

1- **الفكرة الأولى** أن علاقة الطفل بوالديه، منذ يولد الى السنة الثانية من العمر، تعين له مركبا أي عقدة نفسية تتألف من استجاباتها ورجوعها أخلاقة وتصرفاته سائر عمره ولو بلغ السبعين أو الثمانين من العمر. وهذا المركب يسمى " مركب أوديب".

وفرويد يصف هذا المركب بانه علاقة عشقية جنسية بين الطفل وأمه. وهذا العشق يحدث غيرة بينه وبين أبيه. ثم ينشأ صراع في نفسه بعد ذلك بين حبه وغيرته تتكون منه بذرة الأخلاق التي تنمو في اتجاهات معينة وفق السنة الأولى من عمره.

وإذا كنا نحن نشمئز من هذا التفسير فإنه ليس بيننا من ينكر أن في الطفل نبضات وإحساسات جنسية غامضة تعم جسمه كله. بل هذه النبضات تبقى أعمارنا وإن كانت الحدة فيها تتحيز أجزاء معينة عندما نكبر ونراهق.

واختلافنا مع فرويد هنا ليس بشأن الإنكار لهذه الإحساسات الجنسية في الأطفال وإنما بشأن الخطورة التي يعلقها في مستقبل الأخلاق بشأن هذه العلاقة بين الطفل وأمه وأبيه. وعندى أنه يسرف في المبالغة في قيمة هذه العلاقة، وأنه يصف هذه الإحساسات بأنها " حب جنسي" مع أنها لا تزيد على أحساس المراهق بلذة الاحتكاك بيده في " العادة السرية" أي أنها إحساس فقط. بل إن هذه العادة تعود إلى هذا الإحساس الطفلي القديم.

ولكنه هنا، أي فرويد، عندما وضعنا موضع التأمل لهذه العلاقة، حملنا على أن نبحث موقف الأطفال في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من أعمارهم. فانحرفنا عن الطريق الذي اتبعه هو في التفسير، ولكننا هبطنا على عالم كبير في معاني التربية والأخلاق. وبذلك أخصب فرويد تفكيرنا حتى ونحن نخالفه. ونتيجة ذلك أننا نقول الآن: " **إن أخلاقنا وميولنا واتجاهاتنا و أطماعنا هي ثمرة ما انغرس في نفوسنا مدة السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من أعمارنا**".

2- **والفكرة الثانية** أن أحلامنا هي أفكارنا الحرة تبدو لنا في رموز تحتاج إلى التفسير حتى نعرف بها أعماق نفوسنا الخافية علينا. فقد يعتقد أحدنا أنه رجل صالح ولكنه في أحلامه، التي لا تحتاج إلى صعوبة كبيرة في التفسير، يثبت أن له نزعات إجرامية خطيرة. و أنه يوشك أن يرتكبها ويحتاج لذلك إلى التحذير والنصح.

3- **والفكرة الثالثة** التي تعلمناها من فرويد هي " العقل الباطن"، وهي كلمة سيئة وأسوأ منها " اللاشعور" و " اللاوعي".

ومرجع العقل الباطن أننا نكره استذكار ما يؤلمنا أو يخزينا. ألسنا نقول لأحد الأصدقاء عندما يحدثنا عن شخص نكرهه : دعنا من هذه السيرة. لعنة الله عليه"؟

والمعنى هنا أننا لا نطيق ذكر الإشياء أو الناس الذين نكرهم. وعندئذ نحن ننساهم أو نكظم سيرتهم أو نضغطها حتى لا ترتفع إلى وعينا فنتألم، ولكننا بهذا العمل لا نمحو الذكرى، إذ هي تبقى مختفية في "

الباطن" و " مركب النقص" و" النرجسية" و " مركب أوديب" هي كلمات مؤقته تحمل كثيراً من الشبهات

عندما يتقدم العلم السيكولوجي يستطيع أن يضع المفردات العلمية الدقيقة لهذه الكلمات المؤقتة

أحب أن أصف مؤلفات فرويد بأنها فلسفة، بل هي أحياناً فن، أكثر مما هي علم. ذلك أني أحس أنها أنارت بصيرتي أو زادتها وحفزتني على الدرس

أن علاقة الطفل بوالديه، منذ يولد الى السنة الثانية من العمر، تعين له مركبا أي عقدة نفسية تتألف من استجاباتها ورجوعها أخلاقة وتصرفاته سائر عمره ولو بلغ السبعين أو الثمانين من العمر. وهذا المركب يسمى " مركب أوديب

اختلافنا مع فرويد هنا ليس بشأن الإنكار لهذه الإحساسات الجنسية في الأطفال وإنما بشأن الخطورة التي يعلقها في مستقبل الأخلاق بشأن هذه العلاقة بين الطفل وأمه وأبيه

أخصب فرويد تفكيرنا حتى ونحن نخالفه. ونتيجة ذلك أننا نقول الآن: " إن أخلاقنا وميولنا واتجاهاتنا و أطماعنا هي ثمرة ما انغرس في نفوسنا مدة السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من أعمارنا".

أن أحلامنا هي أفكارنا الحرة تبدو لنا في رموز تحتاج إلى التفسير حتى نعرف بها أعماق نفوسنا الخافية علينا

العقل الباطن" فإذا حدث لنا حادث مشابه لحادث قد ضغطناه أو كظمناه (أي نسيناه) قبل عشرين أو ثلاثين سنة فإن عواطف الغضب، أو الخوف، أو الاشمئزاز، أو الخزى، تعود الينا قوية دينامية فتعين سلوكنا واتجاهاتنا.

نسينا الحادث البغيض وبقيت العاطفة التي كانت تلابسه مختبئة فيما نسميه " العقل الباطن".

والأحلام تفرج عنا بعض التفريج برموز تحتاج إلى التفسير.

ولكن هذه العواطف المكظومة، المضغوطة، المنسية، في العقل الباطن كثيرا ما تحفزنا إلى سلوك شاذ إجرامي كما ترى في المثال التالي:

عمد بعض السيكولوجين في إنجلترا إلى تحليل وتنويم بعض المجرمين الذين ارتكبوا جريمة القتل العمد فوجدوا أنهم جميعاً تقريباً عندما ينومون ثم يستجوبون يردون على الأسئلة التي توجه إليهم بشأن الأسباب التي دعتهم لارتكاب جريمتهم بذكر أسماء أخرى غير أسماء الأشخاص الذين قتلوهم، وعند البحث عن أسماء هؤلاء الأشخاص نجد أنهم كانو خصومهم أيام الطفولة.

هنا البذرة الخصبة التي زرعها فرويد.

البيئة الأولى للعائلة هي كل شيء في الاخلاق تقريباً. وكأن المجرم الذي قتل زيداً وهو في سن الأربعين أو الخمسين إنما كان يقتل رمزاً؛ وكأن هذا الخصم قد أحدث انفعالا عميقاً كظم في نفسه، وهو طفل، ثم جاءت المناسبة أو المشابهة للموقف القديم. فحدث الانتقام بقتل شخص آخراً.

4- **والفكرة الرابعة** التي تعلمناها من فرويد هي " فن" التحليل. والتحليل هو إيجاد حالة نضع الشخص فيها بحيث يسترخى كأنه في نوم ويفكر فيها كأنه في حلم، وعندئذ ببوح ويستسلم للانفعالات التي كمنت وتعفنت في نفسه منذ عشرين أو ثلاثين سنة. كمنت لأنه كان يضغطها وينساها.

وهو حين يبوح يرتاح فيذهب عنه التوتر والكرب اللذات لم يكن سببهما.

ثم هو يعرف مرجع التوتر والكرب فيشفى منها، لأنه يتعقل ويقول: " ما دام السبب لهما قد زال فإني يجب أن أرتاح وأتخلص منهما".

هذه هي الفكرات الأربع الخصبة في فرويد. وقد تفرعت منها عشرات الفكرات الأخرى كان فضل فرويد فيها الإيحاء والتلميح.

وميزة فرويد في جميع أبحاثه أن جرئ ومخلص. فمتى حط على فكرة فإنه لا يبالي أن يقول لها ويشرحها ولو خالفت مألوف الناس وخاصة العامة من " العلماء" الذين يحتضون الخرافات فيما خرج عن العلم الذي يدرسونه. ثم قد يدعوه إخلاصه إلى أن ينكر بعض أقواله كما فعل في " الرغبة في الموت" التي ظن أنها حقيقة استخلصها من التحليل النفسي لبعض المرضى. ثم عاد فأنكرها.

إن الذين عاصروا فرويد ودرسوه يحسون أن وجودهم ووعيهم قد زاد في الدنيا!

الفكرة الثالثة التي تعلمناها من فرويد هي " العقل الباطن"، وهي كلمة سيئة وأسوأ منها " اللاشعور" و " اللاوعي

مرجع العقل الباطن أننا نكره استذكار ما يؤلمنا أو يخزينا. ألسنا نقول لأحد الأصدقاء عندما يحدثنا عن شخص نكرهه : دعنا من هذه السيرة. لعنة الله عليه"؟

هذه العواطف المكظومة، المضغوطة، المنسية، في العقل الباطن كثيرا ما تحفزنا إلى سلوك شاذ إجرامي

التحليل هو إيجاد حالة نضع الشخص فيها بحيث يسترخى كأنه في نوم ويفكر فيها كأنه في حلم، وعندئذ ببوح ويستسلم للانفعالات التي كمنت وتعفنت في نفسه منذ عشرين أو ثلاثين سنة. كمنت لأنه كان يضغطها وينساها.
وهو حين يبوح يرتاح فيذهب عنه التوتر والكرب اللذات لم يكن سببهما.

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR200MaanPsychologicalStudies.pdf

***** ****** *****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الخامس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf